# علي عبندة

طُلب مني الكتابة عن حياة والدي المرحوم د. علي عبندة رحمه الله وطيّب ثراه... ففكرت مليا في ما اكتب عن من كان أكثر من مجرد والد بالنسبة لي ولأخوتي وأمي؟ ماذا تكتب الناس عادة عن من كنت. وما أزال. اعتبره أب، ومعلم، وقدوة، ومثال!

معظم الناس تعرف أبي. رحمه الله. المولود في اربد في شباط ١٩٣٢، شخص لمّاح، متعقل منذ الصغر، أحب العلم والدراسة في الوقت الذي كان اقرأنه فيه يتوقون لترك المدرسة وقضاء الأوقات في لعب "طابة الشرايط"، أو السباحة في "البركة الرومانية". ففي مراحل الدراسة المختلفة وبالإضافة إلى كونه طالب متميز، كان أيضا من الكشافة ويشارك في العديد من النشاطات اللامنهجية بطل في القفز العالي والرياضة، ومحبوب من أقرانه حتى تخرج من ثانوية اربد عام ١٩٥٠ الأول على المملكة في الرابع الثانوي. عمل "مطوّف احراج في وزارة الزراعة حتى تم ابتعاثه إلى العراق للدراسة الجامعية.

كان للعراق وبغداد مكانة خاصة لديه. رحمة الله عليه. فقد قضى فيها سني الدراسة الجامعية مع العديد من رفاق الدرب وقادة البلد. وعاد ليدّرس في الكلية العلمية الإسلامية ليخرّج منها بالإضافة إلى العديد من الشخصيات التي أصبحت من كبار رجال الدولة وتجار البلد، جلالة المغفور له الملك الحسين رحمهما الله وجعل مأواهما الجنة.

والدي العزيز كان مأخوذاً بالطقس منذ الطفولة، وعندما حصل على بعثة لإكمال الدراسات العليا في بريطانيا كانت فيزياء الطقس وعلوم الأرصاد الجوية أعلى قائمة المواضيع التي رغبها، وفعلا حصل على الدكتوراه في الأرصاد الجوية عام ١٩٦٩، وعاد ليؤسس دائرة الأرصاد الجوية في الأردن حيث استلم السجلات الجوية من سلطات الانتداب البريطاني وحفظها من النهب. والدي هو الشخص الذي ارتبط اسمه عند الأردنيين بالأرصاد الجوية ارتباط الرعد بالبرق، حيث بقي في الأرصاد الجوية لأكثر من ٤٠ عاما.

أما علي عبندة الذي عرفته أنا، فكان الأب الحازم الصارم بتعقل غريب، وبعد نظر منقطع النظير. إنسان صاحب الشخصية البارزة الذي لديه قصة طريفة، أو نكته سريعة، أو "حزيّرة" لماحة حاضرة باختلاف المناسبات. كان يبدو لي وكأنه يتصيد الفرص والمواقف ليذكر لنا معلومة علمية أو أدبية أو تاريخية أو حتى فنية لأتباهى بها فيما بعد في المدرسة ليطلب مني ذكرها أمام الطالبات جميعا أو أمام الطابور الصباحي.

كان محبوبا بشكل غريب من شتى الناس، وكانت لديه "كاريزما" خفية، وروح دعابة لطيفة. كان يهرع ليروي لنا أخر النكات عن الطقس التي كانت تروى عنه (مهرّب منخفض للشام...

معلش، دار حماي) ويردد الأغاني الشعبية (علي عبندة يا مدير أرصادنا...) ويحثنا بطريقة غير مباشرة لأخذ الأمور بالبساطة والبشاشة عينها.

ما أزال اذكر بعض المواقف التي تكاد تكون وكأنها حدثت البارحة. ففي سني الدراسة المبكرة، كان يأخذني معه إلى الأرصاد الجوية يعرفني على جميع الموظفين، والهدف الخفي وراء كل عمل يقومون به، وكيف بالنهاية نحصل على النشرة الجوية التي يسمعها ملايين الأردنيين! اذكر كم كان فخورا عند افتتاح مركز التنبؤات الوطني، وكيف أخذني إلى الغرفة الخاصة بالأقمار الصناعية، و شرح لي عنها وطبع لي صور ملونة واضعا اشارة X على المكان الذي انا فيه قائلا "وهاااااي الست ندى هون".

في إحدى السنين في منتصف الثمانينيات، حضر إلى الأردن خبير للأمطار الصناعية وبقي فترة ليست قصيرة في عمان. والدي العزيز بطبيعته مضياف من الطراز الأول، اخذ على عاتقه أن يصحب هذا الأجنبي في جولات على كل الأماكن السياحية في الأردن، وكنت رفيقتهما. أذهلني الكم الهائل من المعلومات التاريخية والجغرافية التي يحفظها ويرويها بطريقة مشوقة إلى ابعد الحدود.

غريب كيف كان يجد في كل موقف سؤال أو معلومة يدغدغ بها تفكيري... كيف تعمل اللمبة، لماذا تلمع النجوم، كيف يتشكل قوس قزح، لماذا يغلي الشاي أسرع إذا غطيته، متى يكون الليل والنهار متساويين، من اخترع البسترة، ما هي العقدة البحرية... عندما لا اعرف جواب، كان يسألني أن احضر قلم وورقة، فافعل. هل تعرفون في أي اتجاه تدور المياه عند فتح السدادة في المغسلة؟ أنا اعرف، والدي أخذني من يدي وشرحها لي. أما الحزازير فكانت شيء آخر رائع، من يعرف أبي، فحتما يعرف ما هي ال "طاسة ترنطاسة" أو ما يحدث للهوليكبتر عندما تتعطل المروحة الخلفية، أو كيف تحصل على ٤ لترات من الماء إذا كان لديك سطل ٥ لتر وسطل ٣ لتر...

قلة من الناس تكون حياتهم متمركزة حول العلم دون أن يكونون مملين إلى حد قاتل،،، أبي رحمه الله كان من أولئك القلة القليلة الذين يجعلون من العلم متعة. رحمه الله كان يحتفظ في السيارة وأينما ذهب بجهاز ضغط جوي (مع انه ورغم مرضه المتكرر لا يملك جهاز ضغط دم)، كان يضبطه على سطح البحر في المناسبات القليلة التي أوصلته إلى العقبة. لديه على سطح منزل العائلة القديم في الرابية محطة أرصاد جوية مصغرة، كان يصر على أن يصعد لابسا البيجاما ومدثرا بمعطف "كولومبو" ليقيس المطر ويعطي تقريره إلى التنبؤات الجوية. رغم امتعاضه من قضائي وأخوتي الساعات في العمل (واللعب) على جهاز الكومبيوتر، إلا أنه كان يتصيد الفرص ليأتي ويطلب منا تنزيل خرائط جوية ليقوم بتحليلها وإصدار نشرة جوية مصغرة خاصة بنا.

ما افتقده بشكل خاص هو طقوس الطعام المختلفة عند والدي الحبيب (التي كانت تنتج أطايب الطعام والشراب والحلويات من أنامل أمي العزيزة). رغم امتعاضنا المتواصل، كانت وجبة الطعام ذات أهمية خاصة، الجميع (جوعان، شبعان، بتفرج عالتلفزيون) مجبرا لان يجلس، ويأكل، ويكون بشوشا. افتقد "النداء الأول" للإفطار في الساعة الثامنة يوم الجمعة على فتة حمص حارة، افتقد "يا نايم قووووم" للسحور في رمضان على تمر مقلي، افتقد القطايف الخاصة "قطيفة وحدة كبيرة" والخشاف في رمضان، افتقد الشوي على البرندة وعرايس اللحمة، وافتقد زيتون الحارة وعنب الجمعية.

رحمه الله كان شديد التعلق بالعمل التطوعي، وكان يصطحبني معه إلى مختلف الجمعيات والتجمعات أملا أن أتعلق بها مثله. فقد كنت بالإضافة إلى كوني "دلوعة البابا"، أشاطره الكثير من الاهتمامات العلمية، وأهمها الفلك. اذكر كيف كان دوما ينبهني من التعلق بالأبراج كمثيلاتي من طالبات المدارس في ذلك الحين بقوله "هذا كلو علاك مصدي يابا"، وكيف كان يروي لي قصص بنات نعش الكبرى، وسهيل وأخواته الشعريين، وكيف كان يوصف امرأة ذات شعر أشعث بالاندروميدا.

انتم عرفتم علي عبندة، عرفتموه لساعات من النهار، أعجبكم فأحببتموه، وسوف تفتقدوه الآن، وتستمر حياتكم،،، أمي وأخوتي وأنا كل منا عرف علي عبندة مختلف، عرفناه لعمر كامل، وسوف نفتقده دوما، ولن ترجع حياتنا كما كانت.

ندى عبندة

١٣ أيلول ٢٠٠٦